الوحدة الكورية ضرورة إنسانية

انتهت الحرب العالمية الثانية بمأساة تقسيم بعض الدول إلى قسمين، والحرب كلها مأساة وخسارة، لكن إذا رأينا الأخ يقتل أخاه، والابن يقتل أباه، فتلك قمة المأساة والتراجيديا الإنسانية.. من هذه الدول التى كتب عليها الانقسام كوريا، فكوريا بلاد ذات حضارة عريقة ضاربة فى القدم مدة ألفى عام، وكانت تمثل الهدوء وروعة الطبيعة فى شرق آسيا حتى سميت بلاد الصباح الهادئ.. وفى سنة ١٩١٠ اقتحمها اليابانيون واستعمروها حتى عام ١٩٤٥، أى مدة ٣٥ عامًا، شهدت خلالها كوريا تأخراً واضحاً فى مناحى شتى من الحياة، وبعد انتهاء الاستعمار اليابانى نكبت بالتقسيم إلى شمال وجنوب، وفى عام ١٩٥٠ اشتعلت الحرب الكورية، وهى قمة المأساة، فالكوريون يحارب بعضهم بعضًا، وكانت النتيجة دمارًا وخرابًا

وتأخرًا عن المدنية، وتوقفت الحرب بعد إبرام اتفاقية الهدنة الكورية بين الشمال أى جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، وبين أمريكا عن جمهورية كوريا الجنوبية، ووضع خط يفصل بين الجمهوريتين يقف عليه الجنود الكوريون والأمريكان.

وخلال زيارتى لجمهورية كوريا الديمقراطية بمناسبة الاحتفال بمرور ٣٥ عامًا على تأسيس حزب العمل الكورى، وانعقاد مؤتمره السادس فى شهر أكتوبر سنة ١٩٨٠ كنت تواقًا لزيارة الحدود الفاصلة بين أبناء الشعب الواحد لأرى المأساة على الطبيعة، وكانت رحلتى إلى «كايسونج» إحدى محافظات كوريا الديمقراطية، والتى اشتهرت بزراعة نبات الأنسام المعروف، وفيها منطقة (بان مون جوم) وهى منطقة الحدود مع الجنوب، وليست الطريق إلى الجنوب بعيدة عن العاصمة (بيونج يانج) فهى لا تتجاوز ٢٣٠ كيلومترًا تقريبًا، تقطعها السيارة فى حوالى ثلاث ساعات، وهى طريق ممهدة، على جانبيها اصطفت الأشجار الباسقة الخضراء بالرغم من الخريف، كما أطلت علينا ثمار التفاح والكمثرى من الحقول، وأخذ مرافقى يحكى لى مأساة التقسيم، وكيف أن هناك مواطناً فى الشمال لا يعرف شيئًا عن أخبار ابنه فى الجنوب.

وعن أم لا تعرف شيئاً عن ابنتها الوحيدة إذا كانت على قيد الحياة، وهل تزوجت أم لا؟ وقل كذلك عن الأخوة والصحاب، شعب واحد يتمزق قسمين دون سبب، وإمعانًا فى التقسيم تطبق

سياستان مختلفتان فى كل إقليم حتى يتدعم التقسيم ويصعب التلاقى، وقد أغلقت الحدود، فلا أحد يعبر، ولا رسائل ولا لقاءات، إنها مأساة إنسانية.

ويبلغ عدد شعب كوريا الديمقراطية حوالى ٢٠ مليون نسمة، أما جمهورية كوريا الجنوبية فعدد سكانها ٤٥ مليون نسمة والأرض فى الجنوب خصبة للزراعة أما فى الشمال فتوجد المعادن الكثيرة المتباينة.

ولاشك أن إعادة الوحدة بين الشعب الواحد ضرورة تاريخية، فهو شعب واحد، له تراث إنسانى قديم، ويتحدث بلغة لا تزال واحدة بعد التقسيم، ومن المؤكد أن قيام الوحدة بين شطرى كوريا سيؤدى إلى قوتها السياسية كدولة واحدة، وإلى انتعاش اقتصادها وتقدمه.

وصلت إلى (بان مون جوم)، وكان معنا ضابط برتبة عقيد من الجيش الكورى، فالمنطقة عسكرية لا يمكن للمدنيين دخولها وحدهم، وقرأت لافتة معلقة تقول ٧٠ كيلومتر المسافة إلى «سيول» عاصمة جمهورية كوريا الجنوبية، ثم شرح لنا بعض الضباط الموقع الذى نقف فيه، والذى يفصل البلد الواحد، والشعب الواحد إلى قسمين، ثم دلفنا إلى الحجرة التى تم فيها توقيع اتفاقية الهدنة التى أوقفت الحرب الكورية فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٣ وقد وقعت بين كوريا الديمقراطية، والجانب الأمريكى، وهم

يحتفظون بكل شيء على ما هو عليه، ويقولون لك... هذا هو المكان الذى جلس فيه الوفد الأمريكى وهذه هى منضدة المفاوض الكورى، ثم هذه المنضدة المستقلة التى وقع عليها الجانبان، ثم ترى كتابين مغلفين باللون الأحمر، وهما نسختان من الاتفاقية إحداهما باللغة الكورية، والثانية باللغة الإنجليزية، ثم وقفنا بعد ذلك أمام خط التقسيم، الجانب الكورى يقف عليه جنود كوريون أشداء، تلحظ ذلك بمجرد أن تصافحهم، فإن يدك تظل تؤلمك لمدة خمس دقائق على الأقل، وهذه ليست مبالغة.. وأمامنا الجانب الآخر يقف عليه الجنود الأمريكيون، ومع أن كلاً منا يرى الأخر، فقد نظرت من خلال التلسكوب المكبر، فرأيت الملامح الكاملة لوجوه الجنود الأمريكيين وبعض الوجوه الكورية، وقد أخبرنى مرافقى أن الجنود الأمريكيين هم الذين يحمونهم، أما وجود بعض الجنود الكوريين الجنوبيين فهم يخدمونهم فقط وليسوا للحراسة.

وعدنا إلى الفندق بعد هذه الزيارة وكل منا يحمل انطباعًا واحدًا يقول.. إنها مأساة أن تقسم دولة إلى قسمين، ويفصل بين أبناء شعب واحد فى الشمال والجنوب لا يعرف الكورى شيئاً أو خبرًا عن أسرته وأصدقائه إن الوحدة الكورية ضرورة ملحة تفرضها المصلحة العامة للشعب الواحد، والمستقبل المشرق، والاقتصاد القوى.

وفى التقرير الذى قدمه الرئيس كيم إيل سونج إلى المؤتمر السادس لحزب العمل الكورى، والذى شمل كل جوانب الحياة الكورية، تحدث الرئيس عن الوحدة الكورية فى فصل كامل، هو الفصل الثالث، ودعا الولايات المتحدة إلى إجراء التفاوض حول المسألة الخاصة بتبديل اتفاقية الهدنة الكورية باتفاقية سلام، وذلك للقضاء على التوتر والخطر الدائم من انفجار الحرب فى أية لحظة بين الشمال والجنوب، وقال إن شعبنا لا يرغب فى الحرب، بل يريد تجنب حرب يقتل فيها الأخ أخاه، ثم اقترح إقامة اتحاد فيدرالى بين الشمال والجنوب تحت اسم «جمهورية كوريو الاتحادية الديمقراطية»، إحياء لاسم الدولة الموحدة المعروفة فى القديم، ولخص الزعيم السياسة التى يتوقع أن تتخذها الدولة الجديدة بعد قيامها فى عشر نقاط هى:

من واجب جمهورية كوريو الاتحادية الديمقراطية أن تلتزم التزامًا ثابتًا بالاستقلال فى جميع أنشطتها وسياستها الداخلية والخارجية.

● يجب على الجمهورية الوليدة أن تنشر الديمقراطية فى كل أرجاء البلاد وتحقق التماسك القومى الكبير، وأن تضمن الحرية فى تنظيم الأحزاب والمنظمات الاجتماعية ونشاطاتها، وحرية المعتقدات الدينية، وحرية الكلام والصحافة والاجتماع والمظاهرات، وأن توفر لأفراد الشعب فى الشمال والجنوب الحق فى التزاور بحرية فى كل أرجاء البلاد.

● على جمهورية كوريو الاتحادية الديمقراطية أن تحقق التعاون والتبادل الاقتصادى بين الشمال والجنوب، على أساس الاعتراف بالنظامين الاقتصاديين المختلفين فى كل منهما، ولا يجوز أن تقيد أو يعتدى على ملكية الرأسماليين وأنشطتهم المختلفة ما دامت تساهم فى تطور الاقتصاد القومى.

● على الجمهورية الجديدة تحقيق التعاون بين الشمال والجنوب فى ميادين العلوم والثقافة والتعليم والفن الوطنى على نحو موحد.

● من واجب الدولة الجديدة إعادة ربط المواصلات المختلفة والهاتف والبريد المقطوعة بين الشمال والجنوب وضمان حريتها.

● يجب على الجمهورية الجديدة ضمان استقرار معيشة الشعب بدءاً بالعمال والفلاحين، وزيادة رخائهم بصورة منتظمة.

● على جمهورية كوريو إزالة المجابهة العسكرية ما بين الشمال والجنوب وتأسيس الجيش القومى المتحد للدفاع عن الأمة ضد اعتداء القوى الخارجية.

● يجب على الجمهورية الجديدة حماية حقوق ومصالح جميع المواطنين الكوريون فيما وراء البحار، حتى ينعموا بالحريات والحقوق الشرعية المعترف بها دوليًا، كما يجب ضمان حقهم فى السفر إلى الوطن بحرية كاملة.

● على الدولة الجديدة دراسة العلاقات الخارجية التى أقيمت

مع البلدان الأخرى قبل توحيد الشمال والجنوب، وتنسيق النشاط الخارجي للحكومتين الإقليميتين بصورة موحدة.

● على جمهورية كوريو الاتحادية الديمقراطية، بصفتها دولة موحدة تمثل الأمة كلها، أن تقوم بتنمية العلاقات الودية مع كل البلدان فى العالم، وتنتهج السياسة الخارجية المحبة للسلام، وأن تكون ممثلة للأمة الكورية برمتها فى العلاقات الخارجية، وأن تنضم إلى الأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى ممثلة عن الأمة الكورية كلها، وتبعث وفدها الواحد إلى كل المؤتمرات أو المهرجانات الدولية.

● وقد صفق الحاضرون جميعًا فى المؤتمر لاقتراحات الرئيس التى وجدوا فيها إيجابية ودعوة بناءة لإعادة الوحدة بين شطرى الأمة الكورية الواحدة وكان الحاضرون يمثلون ١١٨ دولة بعثت بحوالى ١٧٧ وفدا لحضور المؤتمر والتهنئة بمرور ٣٥ عاماً على قيام حزب العمل الكورى.

والواقع أن تقرير الرئيس كيم ايل سونج له أهمية خاصة فى المجال الدولى وحسم الصراعات الدولية وهو يتمشى مع سياسة مصر الخارجية تماماً، فقد دعا إلى حل المنازعات عن طريق التفاهم والسلم وليس عن طريق الحرب، ثم فى مجال دول عدم الانحياز طالب هذه الدول أن تحافظ على نفسها وتحل مشكلاتها

الشخصية مع بعضها، ولا تنقل الصراعات الخاصة بها أو المشاكل إلى ساحة المنظمة كلها، حتى لا تفقد حركة عدم الانحياز إيجابيتها ويأتيها الضعف.

وعود على بدء، فإن اقتراح كيم ايل سونج يجب دراسته من قبل كوريا الجنوبية وإعلان رأيها، فالوحدة بلا شك هى أمل الشعب الكورى سواء فى الشمال أم فى الجنوب.

حكايات من الشارع الكورى
(١)

الشارع الكورى هادئ.. هاديء.. نظيف يكاد يلمع، والخضرة والزهور الموزعة بإنتظام فى كل مكان تجعله كالحديقة الغناء بألوانها الزاهية، والشمس المشرقة ونحن فى شهر أكتوبر تزيد لمعان الشارع ودفئه، وإذا أضفت إلى ذلك الإبتسامة الحلوة الرقيقة التى تعلو وجوه جميع المواطنين الكوريين فى الشارع، تعرف عندئذ سر هدوء أعصابك وراحتك النفسية وأنت تتجول هنا وهناك.

والواقع أن الإنسان يحتاج إلى راحة كبيرة بعد الوصول إلى كوريا فالرحلة طويلة، من القاهرة أربع ساعات فى الطائرة إلى موسكو، ثم بالخطوط الجوية الكورية حوالى ١٢ ساعة إلى العاصمة (بيونج يانج).

وبيونج يانج عاصمة جمهورية كوريا

الديمقراطية الشعبية، مدينة جميلة حقًا، وشارعها - كما قلت - هادئ جميل، وهى مدينة عريقة، لكنها جديدة جدًا، إذ أن الاستعمار اليابانى لشبه جزيرة كوريا، والذى بدأ سنة ١٩١٠ واستمر حتى ١٩٤٥ أضاع معالمها، ثم جاءت الحرب الكورية سنة ١٩٥٠ والتى استمرت ثلاث سنوات لتدمر كل شىء وتحيل العاصمة إلى أكوام من التراب والرماد، وقال المسئولون الأمريكيون وقتذاك إن كوريا تحتاج إلى مائة عام حتى تفيق من تلك الحرب وتعيد بناء نفسها، لكن الكوريون استجمعوا قوتهم تحت قيادة زعيمهم «كيم إيل سونج» وقرروا مضاعفة العمل من أجل البلاد، وفعلًا فى خلال ١٣ سنة تقريبًا أعيد بناء العاصمة «بيونج يانج» بعماراتها الشاهقة وقصورها الشامخة للثقافة والفن وميادينها الواسعة التى تتوسطها مجموعة نافورات، ومتاحفها العديدة التى تحفظ تاريخ النضال الكورى فى كافة المجالات.

وحاولت فى البداية التعرف على أسباب هدوء العاصمة ونظافتها ولم تكن لدى الشجاعة للسؤال فاعتمدت على الملاحظة، وأعتقد أن السبب الرئيسى لهذا الهدوء هو أن سكان العاصمة لا يتجاوز عددهم المليون مع أن عدد السكان جميعهم ٢٠ مليون نسمة، وقال لى مرافقى الأخ كيم سون إن الحكومة تقيم المصانع والمؤسسات فى كل المدن وليس فى العاصمة فقط حتى لا يتكدس المواطنون فى العاصمة وتنشأ مشاكل الإسكان والخدمات نتيجة

هذا التكدس، وهناك سبب آخر يساعد على هدوء العاصمة وهو اتجاه المواطنين للعمل وإيمانهم به، وعدم التزويغ، بل إن الخطط الاقتصادية الخمسية أو السباعية التى تضعها الحكومة للنهوض بالاقتصاد القومى تنفذ وتنتهى قبل انتهاء السنوات المقررة لها، ومن أحدث المشروعات التى تمت خلال سنة ١٩٨٠ كوبرى «مى ديم» الذى يربط شرق العاصمة بيونج يانج بغربها، والمقام فوق نهر «دا دونج» ويبلغ طول هذا الكوبرى ألف متر - أى كيلو متر - وعرضه ١٣,٥ متر، وبه عشر بوابات لحجز المياه والاستفادة منها فى توليد الكهرباء، وتعجب عندما تعرف أن إقامة هذا الكوبرى الضخم تم فى عام ونصف فقط، إنه العمل والإخلاص والتفانى فى حب الوطن.

أما عن نظافة العاصمة فتتضح من اهتمام الناس ببلدهم، ونشاط رجال ونساء النظافة، وحتى الأطفال يشاركون فى أوقات فراغهم فى نظافة الشوارع فتراهم جماعات يحملون المقشات ويجمعون الأوراق والمهملات، والمسئولون يدربونهم على ذلك منذ نعومة أظفارهم حتى يتعودا النظافة وتصبح عادة حسنة طوال حياتهم، وقد تذكرت طفولتى عندما شاهدت عربات الرش فى الشوارع، فقد كانت لدينا مثلها منذ عشرات السنين.

* * *

لم يكن هناك وقت لزيارة أى مؤسسة أو متحف أو مصنع فى

اليوم الأول لوصولى إلى بيونج يانج، ذلك لأننى وصلت فى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحًا بتوقيت القاهرة لكن مرافقى طلب إلىّ تقديم الساعة سبع ساعات لتصبح السادسة والنصف مساء، وبعدها بساعة تقريبًا دعانى إلى تناول طعام العشاء، قلت إنه الغداء، قال إن الساعة تقترب من الثامنة مساء، فتناولت العشاء وأمرى إلى الله، وسرعان ما تعودت على النظام الجديد، والتوقيت المحلى الذى يسبقنا بسبع ساعات، لكننى لم أنس توقيت القاهرة وكيف أنسى بلدى وعائلتى وأسرتى وأحبائى؟

فعندما كنت أتناول طعام الإفطار أتذكر أن السكون يلف مصر والهدوء ينتشر بين جنباتها فالساعة هنا فى كوريا الثامنة صباحًا لكنها هناك فى مصر الحبيبة الواحدة بعد منتصف الليل، وهكذا فى الغداء والعشاء.

وذهبت إلى حجرتى فى الفندق وساعد تعب الرحلة وإرهاقها على أن أنام نومًا عميقًا.

وفى اليوم التالى كان البرنامج معدًّا لزيارة «متحف الثورة الكورية» وهو من معالم العاصمة، وذهبت مع مرافقى، وأمام المتحف أقبل على سيارتنا أحد المسئولين ليعرف من بداخل السيارة واللغة التى يتحدث بها؟ ثم ما هى إلا لحظات حتى تقدمت إلينا فتاة ترحب بى باللغة العربية «أهلا وسهلا» قلت..

هل تعرفين العربية... نعم لقد درستها مدة سنتين بالمعهد الخاص بدراسة اللغات.. وعرفت أن هناك مجموعة من الفتيات فى المتحف يعرفن كل لغات العالم، وهن يرافقن الزوار الذين تتحدثن بلغاتهم، حتى يكون الشرح واضحًا، وهذه ظاهرة سياحية ناجحة بلا شك، وفى مدخل المتحف تمثال ضخم للزعيم كيم ايل سونج، وعلى جانبيه مجموعة ضخمة وكثيرة من التماثيل التى توضح مشوار كفاح الشعب الكورى منذ الاحتلال اليابانى، ثم الحرب الكورية وما تبعها من دمار وخراب، إلى مرحلة البناء والاقتصاد والصناعة الثقيلة، إلى الاشتراكية والرخاء كما يقولون.

وفى داخل المتحف حجرات كثيرة، توضح مشوار الكفاح هذا، وهناك نماذج دقيقة لكل إنجازات الثورة فى الناحية الزراعية والصناعية والسياسية. والمتحف مصمم على أحدث الطرز، فهناك لوحات تتغير لتعطى أكثر من منظر وبانوراما سينمائية رائعة تخاطب الضيف بلغته موضحة التغييرات الجذرية فى المجتمع الكورى، فمثلا فى هذه البانوراما - النظرة الكلية - تستطيع أن ترى العاصمة قديمًا وحديثًا، وكيف أن الحرب دمرت ٨٧٠٠مصنع وخمسة آلاف مدرسة، وقتلت الآلاف من الأبرياء، ثم كيف استطاع الشعب الكورى النهوض وبناء بيونج يانج العاصمة وكل المدن من جديد فى مدة وجيزة.

وفى كل حجرة تتصدر صورة الرئيس (كيم ايل سونج)

قاعات العرض وتراه يجلس مع أبنائه المواطنين فى الجبهة خلال القتال، أو مع الفلاحين على الأرض يطلب منهم الهمة فى تعويض ما فات، أو فى المصنع يناقش أفضل الطرق لبناء الصناعة الثقيلة، وهكذا.. ثم يأتى دور الفتاة الكورية التى تشرح لنا محتويات المتحف لتردد اسم الرئيس كل دقيقة من حديثها تقريبًا، وعندما تأتى سيرته فإنها تردد عبارة يحفظها الكوريون جميعًا وهى:

«هذه الانجازات تمت بفضل زعامة الرئيس العظيم المحبوب لدى الشعب الكورى.. الرفيق كيم إيل سونج».

وهذه ظاهرة تلفت النظر وتشد انتباه الرجل العادى وليس المفكر فحسب، فكل الشعب الكورى يحمل على صدره صورة الزعيم، ويردد عبارات الاحترام والتبجيل كلما جاء ذكر اسمه، وهم ينسبون إليه كل ما حققوه من تقدم، والواقع أن الزعيم خدم بلاده خدمات جليلة حارب من أجلها فى أثناء الاحتلال اليابانى وقاد الحرب الكورية، ثم خطط للبناء وإعادة كوريا القوية، وإقامة الصناعات الثقيلة وغير ذلك، فاستحق الحب والاحترام، ومن الطبيعى أن تنشأ الأجيال الجديدة التى ترى هذا الحب العظيم من آبائها وأمهاتها للزعيم على نفس هذا القدر من الحب والامتنان، بل لقد قالت لى مرافقتى: إننا نحبه كالشمس والقمر، وهذا العمل المتفانى للشعب الكورى إنما يعود إلى حب الشعب لزعيمه والسير فى الطريق الذى رسمه للنهوض به، ومع ذلك

فحبذا لو خفف الكوريون من ذكر اسم الزعيم مرات ومرات فى الجلسة الواحدة، حتى لا تكون النتيجة عكسية على المستمع من أهالى البلاد الأخرى.

قلت لمرافقى أنتم تذكرون دائمًا اسم الزعيم فلماذا لا تذكرون أيضًا الشعب الكورى الذى حقق كل هذا التقدم؟

قال: لولا الزعامة الحكيمة لما استطاع الشعب تحقيق كل هذه الإنجازات.

قلت: نعم الزعامة ضرورية ولكن معها يجب أن نذكر للشعب الكورى دوره وكفاحه من أجل الاستقلال والبناء..

فنظر إلىّ مبتسمًا....

وزرت بعد ذلك معرض مؤلفات الزعيم، وهو معرض يشمل صورًا شتى للزعيم وهو يكتب مذكراته وكتبه العديدة، وعرضا لهذه الكتب الكثيرة التى شملت حوالى ثلاثين مجلدًا ترجم معظمها إلى لغات أجنبية متباينة، منها اللغة العربية، وقد كتب كيم إيل سونج فى كل الموضوعات السياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية وغيرها، وهم يعتبرون مؤلفاته نظريات يجب أن تدرس وتطبق عمليًا، فليس هناك فكر أرجح من فكر الزعيم.

وخلال جولتى فى المعرض توقفت أمام صورة لمصر الحبيبة، مصرى يمتطى جملا أمام أهرام الجيزة وأبى الهول ويمسك فى يده،

وهـو فوق الجمـل، بكتاب من مؤلفـات الزعيم كيم ايـل سونـج وعليه صورته واضحة..

وبينما كنت أجول فى المعرض طلب منى أحد المصورين التقاط صورة لى وأنا أقـرأ كتابًـا من المعرض وعليـه صورة الـزعيم، ولم أستطع الرفض... إن الكوريين أساتذة فى فن الدعاية، وكانوا منذ سنـوات ينشرون صفحـات إعلانيـة فى كل صحف العـالم، ومنهـا الصحف القاهرية، مع صورة الزعيم، حتى أصبح كيم ايل سـونج منافساً لنجوم السينما والكرة، ولكنهم الآن توقفوا عن الإعلانـات الكثيرة، وأذكر أن سفارة كوريا الديمقراطية فى مصـر أقامت منـذ سنوات حفل إفطار خلال شهر رمضان المعـظم للصحفيين ورجـال الإعـلام، وحضر المـدعوون ليستمعـوا إلى القـرآن الكـريم حتى انـطلق مدفـع الإفطار، وبـدأ الجميـع تنـاول إفـطارهم، ولم تقـدم السفـارة يومئـذ الخمر احـترامًا منهـا لشهر الصيـام، هذا مـع أن الكوريين لا دينيون ولكن للدعايـة والإعلام فنـون مختلفة يتقنهـا الكوريون جيدًا.

ألم أقل لك إنهم أساتذة فى ذلك.

(٢)

نصحنى السفير المصرى فى كوريا الديمقراطيـة أن أقوم بـزيارة مترو «بيونـج يانـج» أحدث معـالم العاصمـة الكوريـة، فأخـذت

بـالنصيحة، وفى نفس اليـوم كنت هناك، تحت الأرض بعمق مـائة متر، إنه مترو العاصمة الذى ما زال شابًّا، فقد أقيم عـام ١٩٧٨، ومنذ اللحظة الأولى صاحبتنى الدهشـة إلى أن عدت إلى الفنـدق، وقد تعجب عزيـزى القارئ من دهشتى هـذه وتقول... أليس هـو مترو مثل كل قطارات المترو فى العالم؟

والواقع أنه فعلًا مترو يربط أحياء العاصمـة ببعضها مثـل كل متروهات العالم، لكنه يختلف من حيث الشكل والموضوع، فالمحطة أكثر من رائعة بل قل إنها الروعة نفسها، الأرض تلمع بشدة من النـظافة، وقـد وددت لو أخلع حـذائى حتى أحافظ عـلى لمعانها.. والمترو يجرى تحت الأرض بعمق مائة مـتر، وهناك سلم كهـربائى ينزل بك من سـطح الأرض طولـه ١٥٠ متر، وفى أثنـاء الانتظار تستطيع أن تتعـرف على حيـاة الشعب الكورى وتـاريخة وإنتـاجه ومنجـزاته من خـلال اللوحات الكبـيرة الملونة المـرسـومـة عـلى الجانبين، ولكنك لن تجد الـوقت الكافى لمشـاهدة المعـرض، أقصد اللوحات لأن المترو يـأتى بسرعـة وانتظام، ففى الصبـاح أو وقت الذروة كما نقول يأتى المـترو كل دقيقتـين بالضبط، أمـا فى المساء، حيث يقل عدد الركاب، يأتى المترو كل خمس دقائق وتوجد ساعة خـاصة فى كـل محطة تـوضح ذلـك، والمـترو يعمـل من السـاعـة السادسة صباحًا حتى الواحدة بعد منتصف الليل، وفى كل مركبـة تقف فتاة كورية بالـزى الرسمى البـذلة الـزرقاء وغـطاء الرأس

تشرف على النظام والنظافة، كما تقود المترو فتاة أخرى، فالمرأة هنا تعمل فى كافة المجالات، ونشاطها ملحوظ بجانب الرجل، فهى تنظف الشوارع، وتنظم المرور بحركات نشطة تبعث على الإعجاب، فيدها تمتد كالسيف لتدير حركة الشارع، وتعمل شرطية تحافظ على الأمن، وجندية فى الجيش تدافع عن الوطن، ووزيرة تدير شئون الحكومة ثم هى تملأ المصانع والمزارع تعمل وتجد من أجل تحقيق الأمن الاقتصادى لبلادها، هذا كله بجانب عملها الطبيعى كزوجة وأم، ومن المناظر المألوفة فى الشارع الكورى أن ترى الأم وقد وضعت طفلها فى كيس وحملته على ظهرها وفى يدها تمسك بحقيبة، أو (بقجة) من القماش تلف فيها ملابسه وحاجياتها، وأحيانًا يفعل الرجال ذلك.

نعود إلى مترو الأنفاق فى العاصمة «بيونج يانج» لنعرف أن هناك خطين حتى الآن، وما زال العمل جاريًا لإنشاء خطوط جديدة، وتبلغ عدد محطاته ست عشرة محطة، تشكل كل منها متحفًا خاصًا بما يحوى من لوحات معبرة، ونظافة فائقة، وأضواء باهرة متباينة، فكل محطة بها مجموعة مختلفة الشكل والحجم من النجف الكريستال الملون والمتلألئ، غير أضواء النيون غير المباشر، ولا تتعجب بعد ذلك إذا قلت لك إن المحطات مبنية من الرخام القريب من المرمر، وإن المترو - على الرغم من نظافته ينقل يوميًا ٢٠٠ ألف مواطن، وليس سرًا أنهم يضيفون الآن

خطوطًا جديدة حتى يستوعب المترو بمحطاته المختلفة كل سكان العاصمة وعددهم مليون نسمة ونيف - فى وقت واحد، لأن هدف الخطة هو استخدام مترو الأنفاق خندقًا وقت الحروب والغارات، فكوريا الديمقراطية لا تستطيع أن تنسى حالة الحرب التى تعيش فيها، وعلى بعد أمتار قليلة يقف الجنود الأمريكيون فى حالة استعداد تام.

لقد زرت مترو براج ومترو موسكو، الذى يضربون به المثل، ولكن الحق يقال إنها لا تصل إلى عظمة مترو بيونج يانج الذى يعد تحفة فنية.

* * *

هناك اهتمام كبير بالطفولة ومستقبلها فى كوريا، وليس أدل على ذلك من المبنى الضخم فى العاصمة، والذى يتكون من اثنى عشر طابقًا، وأقصد به قصر الأطفال، إنه يحتوى على كل ما ينمى مواهب الطفل وهواياته المختلفة حتى يشب ناجحًا فى الحياة، ومتخصصًا فيما يميل إليه من دراسات علمية أو رياضية أو فنية وفق استعداده الذهنى والبدنى، ففى القصر خمسة آلاف حجرة أعدت كل منها إعدادًا خاصًا، القسم العلمى به أجهزة علمية حديثة مثل الميكروسكوب والتليسكوب وأجهزة للترشيح وإجراء التجارب العلمية المختلفة، وطائرة كبيرة مفككة بحيث

يستطيع الطفل دراسة أجزائها العديدة بسهولة، ويلم بمبادئ الطيران. والقسم الرياضى يضم أحدث الأدوات الرياضية فى مختلف الألعاب مع اتساع مساحات الملاعب، والحجرات الصحية. والقسم الفنى بفروعه التشكيلية والموسيقية والمسرحية. معد بكل الإمكانات المطلوبة لمساعدة موهبة الطفل من أدوات رسم وأوراق وأقلام ملونة وزيوت وآلات موسيقية متباينة، وأدوات مكياج وديكور وغير ذلك.

ويزور القصر يوميًا عشرة آلاف طفل، يقوم علي خدمتهم خمسمائة موظف ويمارس الأطفال هواياتهم فى هذا القصر بعد الظهر فقط، حتى يتفرغوا صباحاً لدراستهم أو الأعمال العامة لخدمة المجتمع، وهناك نظام للتخصص فى القصر، فالطفل يلتحق به وعمره سبع سنوات، ويوضع تحت الملاحظة حتى تُعرف هواياته واستعداداته ثم يُهتم به من الناحية التى توافق ميوله ليأخذ دراسة كاملة نظرية أو عملية (وهو ما نطلق عليه كورس) فى التجربة العلمية، أو اللعبة الرياضية أو الآلة الموسيقية التى أبدى استعدادًا لها لمدة ستة أشهر أو أكثر حسب سنة بالطبع، حتى يتقنها ثم ينتقل إلى غيرها وهكذا، فهذا القصر بمثابة مصنع لرجال المستقبل فى المجالات المختلفة.

وفى أثناء زيارتى للقصر دعانى الأطفال لمشاهدة بعض عروضهم الفنية على المسرح الكبير الذى يحوى ١٥٠٠ مقعد،

وكان عرضًا فنيًا مسرحيًا راقصًا غنى فيه الأطفال عن حياتهم السعيدة، ومستقبلهم المشرق، وزادت دهشتى عندما عرفت أن العرض لمجموعة أطفال من الهواة وليسوا محترفين، إن الإمكانات الوفيرة والتدريب الجاد وحب الفن وراء هذه الروعة.

وما دمنا نتحدث عن روعة الفن الكورى ورقيه فلابد أن نذكر مسرح «منسودای» بالعاصمة بيونج يانج، إنه العجب العجاب ومظهر الاهتمام البالغ بالفن الراقى وإتاحة الإمكانات الهائلة له.. ومبنى المسرح فى حد ذاته فن رفيع، يذكرك بقاعات كنيسة القديس بطرس الرائعة بمدينة الفاتيكان، ومتحف (توبكابى) باسطنبول وقصور أباطرة الإغريق والرومان، ويتغنى فريق هذا المسرح بأغنية مشهورة فى جميع كوريا هى أغنية الجنة التى تتحدث كلماتها عن تقدم كوريا وروعة طبيعتها، وشمسها الساطعة الدافئة، ولياليها المقمرة، وأنهارها وبحيراتها الناعسة فى أحضان الجبل، وعن حب الكوريين للزعيم الذى يسهر على راحتهم، هذه هى الجنة فى بلادهم، كما يعتقدون ويتغنون، ومع تحفظى الشديد بإطلاق اسم الجنة على مجالات شتى فى حياتهم، إلا أننى أعتبره مناسبًا فى مجال الفن الراقى ومبنى مسرح «منسودای» فاللغة تعجز عن التعبير عن روعة المكان الشاسع الضخم المعد إعدادًا تامًا لتقديم الفن الرائع حقًا، بوابة كبيرة أمام ساحة كبيرة لدخول السيارات ووقوفها وانتظارها ثم تدخل المسرح لتجد

أمامك نافورات عديدة تطلق مياهها الملونة بكل ألوان الطيف، ثم سلمًا كهربائيًّا وخلفية رائعة لنهر يتدفق بالمياه الجارية ينبعث النور من داخلها، وهم يستخدمون لتجسيم ذلك فيلمًا سينمائيًّا طويلاً لنفس المنظر، وأعمدة طويلة مذهبة مضيئة بأكثر من لون، وسجادًا سميكًا يغطى أرضية المسرح وحجراته وقاعاته كلها، تغوص الأقدام فيه من شدة نعومته وسقوفًا كلها من الزجاج الملون «المعشق» الذى يعطى منظرًا بديعًا، خاصة بعد إضاءته داخليًّا، هذا غير التحف المدلاة منه، وهى مجموعة نادرة من النجف الكريستال الضخم الجميل المختلف الأشكال فى كافة الحجرات، إن مبنى هذا المسرح ينافس ويفوق مبانى المسارح والأوبرات العالمية الأخرى.. حقيقة إن القلب يعشق كل جميل، كما تغنى أم كلثوم، فلم أجد مثل هذا الجمال فى دول كثيرة أخرى اشتهرت باهتمامها بالفن، هذا عن روعة المبنى والمتعة التى يشعر بها الإنسان بمجرد دخوله إليه، أما إذا بدأ العرض فإن هناك متعة أخرى تسيطر على حواسك، وتنسيك الوقت والمشاكل وكل الهموم، إنه العرض الفنى المتألق المتكامل، خشبة المسرح المتحرك تتسع لمئات الفنانات والفنانين، الإضاءة الخفيفة والمركزة الفردية والجماعية، استخدام التكنولوجيا فى إيجاد حياة كاملة على المسرح، كأن يعرض فى الخلفية فيلم سينمائى قصير يكمل العرض المسرحى، ويكون أبطاله نفس النجوم الذين يلعبون أدوارهم على المسرح، ويمكن أن يكون هذا الفيلم معركة فى بحيرة، أو موقعة

حربية فوق الجبال، أو مجرد نهر يتدفق بالمياه يتفق وهدف العمل الفنى، وبهذا ينجح العمل الفنى والعرض المسرحى لتقديم صورة متكاملة لمقطع من الحياة يقصده المؤلف بالطبع، بالإضافة إلى ذلك هناك سرعة فائقة فى تغيير المشاهد والخلفيات لا تستغرق إلا أقل من دقيقة مما يشد إعجاب جمهور المسرح، فبمجرد أن تطفأ الأنوار تضاء مرة أخرى على المشهد الجديد المختلف تمامًا فى ديكوراته وأضوائه وألوانه وأبطاله، إنها روعة الفن الذى يستخدم كل ما وصلت إليه الإنسانية من تقدم بهدف إمتاع الجماهير بالفن الراقى.

والممثلون على المسرح يتحركون بتلقائية وطبيعية تساعد على نجاحهم برغم أعدادهم الكبيرة، والراقصات بملابسهن البيضاء الملائكية يتحركن جيئة وذهاباً بخطوات واحدة منتظمة، وكأنهن شخص واحد.

إن عظمة مسرح منسودای "Mansudae" تتجلى فى شموخ البناء، وروعة الفن، وقمة الأداء، وتتجمع عناصر النجاح هذه لتدفعك على الانبهار طوال الوقت لتخرج من العرض وكأنك كنت فى حلم جميل تود لو لم ينته.

والحديث عن أمسيات الفن الكورى لا ينتهى، ففى أمسية أخرى دعيت لمشاهدة مسرح الأكروبات فى العاصمة بيونج يانج

وهو ككل مسارح كوريا معد إعداداً تامًّا فنيًّا وتكنولوجيًّا لتقديم العرض الجيد الممتع.

بدأ العرض وإذا بى أشعر أن قلبى ينتفض وتكاد نبضاته السريعة تتوقف من شدة الخوف على الفتاة لاعبة السيرك، التى تتعلق بطوق يبعد عن الأرض بحوالى خمسة عشر مترا، إنها تقف فى هدوء تام لترقص الباليه على الطوق، ثم تنام على حافته، ثم تتعلق بيد واحدة من طرفه، منتهى الثقة والبراعة فى الأداء، وما أن انتهت من لعبتها حتى هدأ قلبى وسكنت نبضاته، وما هى إلا برهة من الوقت حتى انطلقت نبضاته سريعة مرة أخرى، والسبب أن فتاة أخرى تمسك بفمها سكيناً وعلى طرف السكين خنجر طويل يعلوه دورق كبير مملوء بالمياه حتى حافته، إلى هنا واللعبة قد نشاهدها فى سيرك آخر، لكن الفتاة لا تكتفى بذلك بل تصعد سلماً وهى محافظة على التوازن، تحمل بفمها السكين المثبت عليه الخنجر ودورق المياه، ثم تميل يمنة ويسرة وتنام وتصحو دون خوف أو اضطراب أو اهتزاز، ودون أن تتحرك المياه التى تملأ الدورق حوالى عشر دقائق من العجب والقدرة الفائقة فى الأداء، وضبط النفس. إن ما تقدمه فرقة الأكروبات الكورية، ليس مجرد أكروبات، وإنما هو أكثر من ذلك، هو متعة الفن، ودقة الأداء لأربعة من اللاعبين يقفزون وراء بعضهم ومع بعضهم بسرعة هائلة ليقدموا لنا أشكالا مختلفة وتكوينات بديعة، ثم مهرجان يلعبان

لعبة الكراسى الموسيقية، ولكن بشيء من الفن والمهارة غير المألوفة، وآخران يلعبان بثلاث عصى، يتبادلانها ويتشاجران ويشد أحدهما الآخر دون أن تقع أو تفلت عصاً واحدة على الأرض، منتهى الاتزان والثقة بالنفس، حقيقة إن المسرح مجهز بأحدث الأساليب فى العرض، وأجهزة حماية اللاعبات واللاعبين، ولكن هذا لا ينتقص من قدرة وشجاعة وبراعة اللاعبين.

إن السيرك والأكروبات توضح إمكانات الإنسان الفائقة فى السيطرة على الجسم والتحكم فيه، ومجابهة الخوف إذا ما اكتشف مواهبه واستعداداته وتدرب التدريب اللازم والكافى.

(٣)

اكتشفت فى كوريا سبب تمسك قديس الهند غاندى، والأديب الأيرلندى برناردو شو والمفكر المصرى سلامة موسى بمبدأ النباتيين فى الاعتماد على الطعام النباتى وحسب، فهناك صحاف من الخضراوات والنباتات التى نعرفها والتى لا نعرفها، أشهى بكثير من اللحوم بمختلف أنواعها، وهى تدفعك إلى التهام كميات كبيرة منها، بل وتأكل أصابعك وراءها كما نقول فى الأمثال. وهناك بالطبع بعض صحاف لن تعجبك، ولكن معظم الطعام النباتى جيد وطيب المذاق، ولم أكن أتوقع ذلك، والكوريون يأكلون اللحوم

المختلفة أيضاً، لكن اهتمامهم كبير بالخضراوات والفاكهة الطازجة، والكائنات البحرية والأحياء المائية مثل الأسماك والجمبرى والكابوريا والقواقع وأم الخلول وغيرها، وهم يتفننون فى طهيها وتقديمها فى صحاف جذابة، فالمائدة الكورية أشبه بالحديقة الجميلة الغناء بألوانها الزاهية ونباتها المتباين، وفى بداية الطعام يتناولون طبق الحساء، وهو مثل النهر ملىء بقطع الخضراوات وبعض اللحوم أو الدجاج، وستصاب بدوار لو حاولت معرفة كل مافى طبق الحساء هذا من خضراوات مختلفة، كنت أتناول الطعام مع صديقى الكورى السيد كيم وبالمناسبة فإن اسم كيم من الأسماء الشائعة فى كوريا، تماماً مثل اسم محمد أو أحمد عندنا فى مصر، وقد أخذت أمطره بالأسئلة عن كل صنف من أصناف الطعام الملون والمزركش وشعرت أننى أعطله عن تناول طعامه، وفضلت أن أكتشف بنفسى كل صنف مهما كانت النتيجة من مغص أو وجع بطن أو غير ذلك والحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، كانت النتيجة لصالح بطنى، ولصحة أمعائى، فإن الخضراوات مفيدة جدًّا للأمعاء والمعدة.. والصحة عامة.

كان الطبق الأول عبارة عن خضراوات طازجة ومقطعة بطريقة ماهرة إلى قطع رفيعة جدا، مثل المكرونة الإسباكتى، وكانت ألوانها زاهية فاقعة أخضر وأحمر وأصفر وأبيض وبنفسجى.. وعرفت بعضها بعد أن تذوقته، فهذا خس أو كرات

أو فلفل، وذلك جزر أو بصل أو بنجر أو لفت.

الطبق الثانى معروف جدًّا لنا فى مصر وهو الكرنب، ولا تخلو مائدة كورية من الكرنب المملح (المخلل) وهم أيضاً يحشونه بالأرز واللحم المفروم.

الطبق الثالث سلطة المايونيز بالخضراوات، وأنا شخصيًّا أفضل هذا الصنف بالذات، وبدأت أتناوله بشغف، ثم شعرت أن معدتى مضربة عن تقبله، وأخذت أبحث عن السبب فوجدت بين الخضراوات الممزوجة بالمايونيز قطعاً من التفاح والكمثرى، وعرفت السبب، وهم يفضلون الفاكهة مع الطعام المملح أحياناً، بل إنهم يعتبرون السكر من التوابل، فيضعونه فوق اللحم أو الدجاج أو الطماطم مثلما يفعل الصينيون والأندنيسيون وغيرهم من الشعوب الأسيوية.

والطبق الرابع أسال لعابى فقد كان بوفتيك ساخن تقريبًا، وبدأت أتناوله وأحببته، ولكنه لم يكن بفتيك اللحم، وإنما بفتيك البصل، وهم يقطعون البصل شرائح ثم يضعونه فى البيض والبقسماط ليحمروه بعد ذلك تمامًا كالبفتيك، وقد التهمت منه كثيرًا فمذاقه طيب، لكنى لم أتذوق بفتيك التفاح الذى يطهونه بنفس الطريقة.

والطبق الخامس مجموعة من الخضر المسلوقة مع قطع صغيرة

من الأحياء المائية التى لم أجربها من قبل، والحق يقال كان مذاقها طيبًا للغاية.

والطبق السادس سلطة البيض بالخس وقطع الدواجن، وهو طبق لذيذ جدًّا، وهناك طبق حسبته ديكورًا فى البداية فإن به زهورًا وورودًا، ثم اكتشفت أنه طبق خضراوات مملحة وطازجة أعده الطباخ بطريقة فنية رائعة، ثم جاء طبق الأرز المعهود، إن آسيا هى قارة الأرز، ومن أقوال الرئيس كيم إيل سونج المشهورة أن الأرز هو الاشتراكية، المهم نظرت إلى الطبق فإذا الأرز أبيض ناصع البياض، وحباته كبيرة طويلة، وحاولت أن أتناوله بالملعقة فلم أفلح، إن الأرز فى الطبق قطعة واحدة، كيف؟ وبدأت أتناوله بالشوكة والسكين، ثم تذوقته فإذا به ليس له طعم ولا رائحة إنه أرز مسلوق فقط.. وطبعًا ستسر جدًّا زوجتى عندما أقول لها ذلك، فهى تطهو الأرز بطريقة جميلة ساهمت كثيرًا فى زيادة وزن العبد لله، واضطراره أحيانًا إلى عمل الرجيم.

امتلأت معدتى وشبعت من الطعام النباتى الذى أعجبنى والذى التهمت صحافاً كثيرة منه، فقد كنت أطلب طبقًا آخر من الصنف الذى يعجبنى، وانتظرت الحلو حتى أقوم وكانت المفاجأة، الطعام الرئيسى لم يحضر بعد، فكل هذه الصحاف جانبية، وإذا بالمضيفة تضع أمامى طبقًا من اللحم الخالص وآخر من السمك.

يا نهارك أبيض.. لماذا لم تقل لى يا مستر كيم لقد شبعت.

حاول أن تأكل إن اللحم طيب جدًّا.. اشرب كوبًا من البيرة وهو يفتح نفسك.. فى صحتك.

والكوريون مثل معظم شعوب آسيا يأكلون بعصوين، لا الأرز فحسب بل كل أنواع الطعام، ما عدا الحساء بالطبع، وكان أجدادهم يأكلون بعصوين من الفضة، لأن الفضة تكشف السم بسرعة إن وجد فى الطعام، فهو يترك آثارًا واضحة وعلامات فورية، ولأن الفضة اليوم مرتفعة الثمن فإنهم يستخدمون عصاً من المعدن، أما الصينيون واليابانيون والأندونسيون وغيرهم فيستخدمون العصا من الخشب المختلف الأنواع.

من الأطعمة التى تناولتها بعد ذلك فى كوريا كفتة الفول، وهم يصنعون الفول الصويا كورًا صغيرة ثم يضيفون إليها البيض بالبقسماط لتصبح كفتة طيبة المذاق، ومن الفول الصويا يصنعون قطعًا لا يستطيع الإنسان أن يفرق بينها وبين اللحم فى المذاق، - والمعروف أن الصينيين هم أول من اكتشفوا فول الصويا - ومن أطباقهم التقليدية محشو البيض، يصنعون من البيض أقراصًا كبيرة ثم يحشونها بالأرز والخضروات، وهذا من الأصناف التى أعجبتنى جدًّا، أما صحاف الكائنات البحرية فهى كثيرة، فهم يصنعون السمك ويقلونه كما نفعل فى مصر متبلاً لذيذًا، والقواقع الكبيرة وهى تشبه أم الخلول يشوونها أمامك على المائدة بأن توضع فى الطبق وتحتها مادة مشتعلة تظل حوالى عشر دقائق حتى

يتم نضجها، والكابوريا من الأطباق الشهيرة ولكنها تختلف عن التى نجدها فى مصر، فالكابوريا الكورية غزيرة الشعر والشوك من الخارج لدرجة أننى لم أصدق أنها كابوريا.

دعانى الرئيس كيم إيل سونج لتناول طعام العشاء على مائدته الكريمة فى إحدى قصوره الجميلة، مع وفود الدول الأخرى، وصحبنى مرافقى إلى باب القصر ثم استأذن منى لأن الدعوة لا تشمله، ودخلت القصر الضخم الجميل، وسرعان ما وجدت المقعد الخاص بى، وعلى جانبى الأيمن جلست سيدة إيطالية لا تعرف إلا لغتها فقط، فتفاهمنا بلغة الإشارة وقليل من الكلمات الإيطالية التى عرفتها خلال زيارتى إلى إيطاليا مرتين، أما جارى على الجانب الآخر فكان صحفيًا هنديًا يجيد الإنجليزية، مما جعلنا نتحدث طوال الوقت، وتوقعنا أن يكون الطعام مختلفًا عن الطعام الذى نتناوله دائمًا فى مطعم الفندق، فهذه مائدة الرئيس.

وجاءت الفتيات الجميلات بالطعام الساخن، وقدمن لنا بعض الطعام الموجود على المائدة الكبير، ولم يكن الطعام مختلفًا عن الطعام اليومى، الخضراوات تشكل نصيب الأسد بأنواعها المتباينة، ومستخرجاتها الكثيرة فهذه مكرونة مثل الإسباجتى مصنوعة من البطاطس، ومذاقها قريب جدًا من اللحم، وتلك چيلى من الفول، وطعام ثالث عرفت أنه نبات «الشمبنيون» المعروف فى أوربا، والذى لا تفرقه عن كبد الطيور فى المذاق، وهو أنواع كثيرة تبلغ

الخمسين، ومنه نبات سام، والطريف أن هذا النبات لا يزرع وإنما ينمو بعد هطول الأمطار (شيطانى) أى دون وضع بذور، والطعام الجديد على هذه المائدة هو نبات «الأنسام» المعروف فى كل كوريا، وهو نفس النبات الموجود فى اليابان تحت اسم «جنسنج» وما أكثر ما تسمع عن فوائد نبات الأنسام فى كوريا، إنه إكسير الحياة، كما يقولون، منه يصنعون الشاى والچيلى والسجائر والخمر والدواء على شكل فيتامينات ومقويات، وهو مفيد للجسم، يعيد الشباب والحيوية إليك، حتى إذا كنت متقدمًا فى السن، وهو مفيد لرجولتك أيضًا.. ولا تضحك من هذه الكلمات، فهكذا قالوا لى، وهكذا طلب منى كثير من الأصدقاء أصحاب الخبرة إحضار بعض جذور هذا النبات.

وعن نبات الأنسام كما يسميه أبناء جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية والجنسنج كما تسميه كوريا الجنوبية واليابان والصين أقيمت ندوة علمية عالمية فى القاهرة (جريدة الأهرام) اشترك فيها مجموعة من العلماء السويسريين والألمان والمصريين والأمريكان خلال شهر مايو سنة ١٩٨١ وأكدت الأبحاث المشتركة أن الأدوية المستخرجة من هذا النبات تطابق أحدث الصيحات العالمية فى الرجوع إلى النباتات الطبية والبعد عن الكيماويات التى ثبت أن لها أضرارًا جانبية تفوق فائدتها.

ويقول البروفسور ستيشز أستاذ العقاقير الطبية بمعهد

التكنولوچيا الفيدرالى بسويسرا: إن الفكرة فى اختيار نبات الجنسنج بالذات ترجع إلى انتشار زراعة هذا النبات فى الصين وكوريا واليابان، وقد لوحظ استخدامه على نطاق واسع بين عامة الشعب للتداوى من أمراض مختلفة حتى إنه سمى فى اليابان باسم «أعجوبة العالم» لما له من أثر فعال فى علاج الإجهاد والتوتر وارتفاع ضغط الدم وغيرها من الأمراض.

وبعمل التجارب على هذه النباتات ثبت بالفعل احتواؤها على كمية كبيرة من الچيلكوسيدات تصل إلى أحد عشر نوعًا كلها تؤثر بطريقة أو بأخرى علىَ نسبة الهرمونات فى الجسم البشرى وتعمل على رفعها إلى المعدل اللازم لأدائه لوظائفه الحيوية على أكمل وجه - والمعروف أن نسبة الهرمونات تقل تدريجيًّا مع تقدم السن - وقد تم فصلها وتحديد كميتها على وجه الدقة، وقد سميت هذه الچليكوسيدات الچينوسيدات نسبة للنبات.

وقد ثبت أن إحدى هذه الچينوسيدات الإحدى عشرة تنشط المقدرة الذهنية والعضلية بينما يوجد نوع آخر يساعد على تهدئة النفس مثله فى ذلك مثل الأدوية المهدئة المنعشة فى نفس الوقت.

ويضيف الدكتور شول أستاذ وظائف الأعضاء بجامعة هوفر أنه قد ثبت أن خلاصة جذر نبات الجنسنج تحتوى على مواد منشطة لعمليات الايض الخاصة بالمواد النشوية وتؤدى إلى خفض

نسبة السكر فى الدم، هذا بجانب احتوائه على مادة (البيتاسيتوستيرول) التى تعمل على خفض نسبة الكوليسترول فى الدم بنسبة ٢٠٪ وذلك عن طريق تدخلها فى عملية امتصاصه فى الأمعاء.. ويؤكد الدكتور كيرفرفر رئيس المعهد الصحى بالولايات المتحدة عدم احتواء خلاصة جذور نبات الجنسنج المحضرة فى صورة كبسولات والتى تم فصلها وعمل التجارب عليها قبل تصنيعها كأدوية عدم احتوائها على أى مواد سمية تؤدى إلى إحداث أى آثار جانبية. كذلك عقد فى مدينة سيول عاصمة كوريا الجنوبية مؤتمر طبى دولى اشترك فيه أطباء وعلماء ٢٧ دولة لدراسة نفس النبات الانسام أو الجنسنج وآثاره وفوائده، وتوصل الباحثون إلى نفس النتائج التى توصل إليها العلماء المجتمعون فى القاهرة فى نفس العام.

المهم وجدت نبات الأنسام على مائدة الرئيس مسلوقًا (سوتيه) مع قطع صغيرة من الديك الرومى، وهم يعتبرونه أفضل من الديك بالطبع وحاولت أن أتناوله، لكننى لم أتذوقه، وأعطيته لصديقى الهندى الذى يجلس بجانبى، فتناوله بالشفاء والهناء وأقبلت الفتيات مرة أخرى يحملن آنيه تشتعل النار من تحتها، ووضعت أمامنا واحدة، ثم بدأت الفتاة تضع أمام كل منا فى الطبق الخاص بالحساء بعض ما فى الإناء الكبير الساخن وسألت ما هذا؟ إنه الحساء الثقيل Heavy Soup، وهو من أنواع الحساء

المعروف فى كوريا، بل هو أشهر حساء، وقد سمى الثقيل لتوفر المواد الغذائية الكاملة فيه، فهو يحتوى على ست وثلاثين نوعا من الطعام من البحر والأرض والفضاء، من البحر الأسماك بأنواعها المتباينة والجمبرى والأصداف، ومن الأرض الخضراوات المختلفة بألوانها الزاهية ومذاقها المتعدد مع قطع صغيرة من لحوم الماشية والدواجن، من الفضاء قطع صغيرة من كل أنواع الطيور التى تملأ الفضاء وبهذا تكتمل الفائدة وتشعر وأنت تتناول هذا الحساء، بأنك تسبح فى أعماق البحار، وتحلق فى أجواز الفضاء، ثم تهبط مرة أخرى على الأرض، ولاحظت أن صديقى الهندى لم يتناول هذا الحساء، ونظر إلى مبتسمًا ثم قال.. اتفضل تستطيع أن تتناول نصيبى من الحساء الثقيل.. قلت.. هل أنت نباتى؟

- نعم أنا نباتى.. إذن تستطيع أن تأخذ هذا الطبق الذى أمامى وهو أرز وعليه بعض قطع من البيض والخضار.

- شكرًا أنا لا أتناول البيض أيضًا.

- قلت.. لكنى أعرف أن النباتيين يتناولون البيض واللبن.

- نعم معظمهم يفعلون ذلك لكنى لا أتذوق البيض فهو قريب من اللحم.

- وهل تتمتع بصحة جيدة؟

- صحتى ممتازة وأنا أعيش دون أمراض، ومتزوج ولى طفلان،

وأتمتع بالحياة وكل ملذاتها.

- يقولون إن البروتين الحيوانى أقوى من النباتى، وإن الإنسان يحتاج للاثنين معًا فما رأيك؟

- التجربة أثبتت لى أن النبات أفضل بكثير من اللحوم، وأنت تعرف أن معظم الدواء يستخرج من النبات، ولكننا لا نقدر النبات حق قدره، إن الفيتامينات لا توجد إلا فى النبات، والذين يعيشون على النبات يعمرون أكثر ويتمتعون بصحة كاملة، على العكس من أكلة اللحوم الذين يعانون مختلف الأمراض والاضطرابات.

وبعد أن انتهينا جميعًا من الطعام لم يجرؤ أحد على قطع الكعكة الكبيرة (التورتة) للتحلية، واقترحت جارتى الإيطالية أن نأخذها معنا إلى الفندق، وابتسم صديق كورى كان يجلس بالقرب منا، وفضلنا جميعًا أن نتناول التفاح فقط، ثم تركنا القصر ونحن ننظر بغيظ إلى التورتة الكبيرة المتعددة الطوابق والألوان.

وما أكثر الحكايات الغريبة التى تسمعها فى كوريا عن أنواع معينة من النبات أو الخمر، وقد حدثتك عن «الانسام» الذى لا تخلو مائدة كورية منه، وفى الفندق تصلبت عيناى على زجاجة من الخمر، وأخذت أبحلق فيها وأنا لا أصدق ما أرى، ثعبان أسود به نقط بيضاء داخل الزجاجة ولاحظ السيد محمد

عبدالرحمن عبدالسلام[1] سفيرنا فى كوريا علامات الدهشة التى ارتسمت على وجهى، فابتسم قائلا.. لا تعجب إن هذه الزجاجة أغلى زجاجة فى كوريا، وهم يعتقدون أن المادة التى فيها تفيد الجسم جدًا، خاصة للرجال، وهم يأتون بالزجاجة فارغة ثم يصبون فيها مادة الخمر، ونسبة كبيرة منها كحل، ثم يدخلون الثعبان حيا فيها ويغلقونها، فيعيش الثعبان مدة قصيرة حتى تنتهى كمية الأوكسجين القليلة الموجودة بداخل الزجاجة، بعدها يموت الثعبان، وتمتص الخمر الفوائد من جسمه، وتدخل صديق كورى ليؤكد فائدة هذا الخمر للجسم، ثم أضاف إنهم يأكلون الثعبان بعد الانتهاء من احتساء كل زجاجة الخمر.. وزجاجة خمر الثعبان هذه تباع بالدولار وليس بالون، العملة الرسمية لكوريا، ويبلغ ثمن الزجاجة عشرين دولارًا فقط.. يا بلاش..

وهكذا يفضل الشعب الكورى الطعام النباتى، مع تناوله اللحوم والأسماك لكن صحاف الخضراوات العديدة الطازجة والمطهية الملونة الزاهية الشهية تمثل أهم ملامح المائدة الكورية، وربما يكون ذلك سببًا من أسباب ارتفاع متوسط أعمارهم إلى حوالى سبعين سنة ونيف للفرد.

وهناك سبب آخر لارتفاع متوسط عمر المواطن الكورى، وهو حبه للعمل وكثيرًا ما يرفض أن يحال إلى المعاش، ويطلب عملا

(١) كان سفيراً فى عام ١٩٨٠.

مناسبًا لسنه وصحته وقد تعود الجميع على العمل منذ نعومة أظفارهم، والعمل جزء هام من حياتهم، وليس مهما أن يكون عملا رئاسيًا أو مكتبيًا أو مريحًا، وإنما أى عمل، فقد رأيت الفتيات الكوريات فى المصانع بالعشرات والمئات، يرتدين البذلة الزرقاء وغطاء الرأى ويعملن بجد ونشاط، لا فرق بينهن وبين الرجال، وهم يتبادلون الاحترام، فالذى يكنس وينظف الشارع يلقى نفس احترام الموظف الكبير فى الدولة، وفى شوارع كوريا وميادينها يرتفع تمثال ضخم يطلقون عليه اسم (تشوليما) وهو عبارة عن حصان يمتطيه أحد المواطنين، ويرمز إلى ضرورة العمل بنفس هذه السرعة، والحصان يطير - كما يقولون - بسرعة أربعمائة كيلو متر فى الخطوة الواحدة، هكذا يتخذون الحصان الطائر رمزًا لضرورة العمل الجاد والمتواصل من أجل النهوض ببلادهم.

وتسمع كثيرًا فى الشارع الكورى، وفى خطابات الرئيس كيم ايل سونج عن فكرة «زوتشية» وضرورة الإيمان بها وتطبيقها، والترجمة الحرفية للكلمة هو «الجسد» أما معنى الفكرة فهو أنه يجب على الإنسان أن يسيطر على جسده ويتحكم فيه، وكذلك يجب على الأمة أن تكرس جهودها لمصلحتها ومصلحة ابنائها وتسيطر على مقدراتها، ولا تسمح لاحد أن يتدخل فى شئونها، ولا تربط مصالحها بأية قوة كبرى، وترفض استغلال الإنسان لأخيه الإنسان. وخلاصة فكرة «زوتشية» هو أن الإنسان كل

شيء ويجب أن يعتمد الشعب على نفسه فى تحقيق سعادته واستقلاله.

وقد دفعت هذه الفكرة أبناء كوريا للعمل بجد ونشاط لتحقيقها، فهو يعمل ثمانى ساعات، ويدرس ثمانى ساعات ويستريح الساعات الأخرى، والعمل ليس مجرد أداء الواجب أو المقرر والسلام، لكنه عمل هادف، العامل فى مصنعه يعمل ليحسن الإنتاج ويزيده، الفلاح يعشق أرضه ويحاول اكتشاف أحسن الطرق الزراعية، كذلك فى كل المجالات..

ولأن الكل يعمل ويدرس أو يستريح فإن الشارع الكورى غير مزدحم، ولا يوجد من يسلى نفسه بالوقوف على نواصى الشوارع، أو الجلوس على المقهى فليس هناك مقاهٍ، بل توجد أندية لكل الأعمار، ولذلك فإن الشارع لا تجد فيه إلا المارة فقط، وهم قليلون.

ويبدو أيضًا أن زحمة العمل جعلت الأسرة الكورية تنظم نسلها تلقائيًا، فليست هناك على مستوى الحكومة أو الحزب دعوة لتنظيم الأسرة، ومع ذلك فالأسرة تتكون عادة من أربعة أفراد الأب والأم وطفلين فقط، فليس هناك وقت للإنجاب الكثير، مع أن عدد سكان جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية حوالى ٢٠ مليون نسمة فقط.

والكوريون قصار القامة، فمتوسط طول الفرد حوالى ١٦٠ سم أو أقل لكن بعض الأجيال الجديدة بدأت تشد عودها وتخرج عن القاعدة لتنافس طوال القامة، ويحار المرء فى معرفة أصدقائه الكوريين، فهم متقاربون فى الملامح والشكل جدًّا، ومع التعود تستطيع أن تميز بينهم، بل إن كثيرًا منا يخلط ما بين الكوريين والصينيين واليابانيين وغيرهم، وتوجد فروق فى شكل الشعر وطريقة قصه، فاليابانيون والكوريون الجنوبيون يطيلون شعورهم من الخلف، أما الكوريون الشماليون والصينيون فهم يقصونه ليصبح قصيرًا جدًّا، وهم يبررون ذلك بأنه لا وقت لتربية الشعر والاهتمام به، فهناك أشياء أخرى أولى بهذا الاهتمام.

ومن الأشياء الهامة التى تجذب اهتمامهم الزهور والزراعة، ففى الغروب تجد الكوريات ينتشرن فى كل الأنحاء لتغطية الزهور بأكياس البلاستيك حتى لا تتعرض للتقلبات الجوية، ثم يكشفونها كل صباح لتصبح الزهور متفتحة ناضرة جميلة.

(٤)

والانضباط والسلوك السوى لا يأتى فى يوم وليلة فأنت لا تستطيع، مهما أوتيت من قوة وسلطة، أن تغير شعبًا فوضويًّا إلى شعب منضبط فى خلال يوم أو شهر أو حتى سنة، لأن من

تعود على شيء منذ طفولته من الصعب أن يغيره فى شبابه وشيخوخته، ولهذا أجمع علماء الاجتماع والنفس على أن الخمس أو الست سنوات الأولى من حياة الطفل هى التى تحدد شخصيته وسلوكه طوال حياته.

وخلال زيارتى لكوريا وتفقدى لكل الأماكن والشوارع والميادين والمصانع والمسارح ودور السينما والمدارس وغيرها لاحظت الانضباط الشديد، والنظام العام، فلا يمكن أن ترى مواطناً يسير فى نهر الشارع، أو يعبر قبل أن تسمح له منظمة المرور بذلك ولا يمكن أن ترى زحامًا وتدفقاً وقفزًا على الأتوبيس، بل هناك طابور منظم يقف فيه كل من يأتى وراء الآخر حتى يأتى الأتوبيس ويكون الصعود إليه هادئًا، بل وسريعًا لأن النظام يؤدى إلى سرعة إنجاز أى عمل، وفى دور السينما أو المسرح أو المصاعد يمنع التدخين، ولن ترى من يخرق القانون أو يخرج عليه، ألم يوضع القانون لمصلحة المواطنين، وهذا هو الحال بالطبع فى أوربا ولكنى لم أعتقد أن هناك دولا أخرى على هذا الانضباط، والوقت هنا من ذهب فعلاً، فلا وقت للضياع والتهريج والتهكم على خلق الله، بل الجميع يجدون من الهوايات والأعمال ما يشغل فراغهم، وفى عام ١٩٤٦ كانت الأمية ما زالت كالداء فى جسم المجتمع الكورى، وهنا أعلن الرئيس كيم إيل سونج ضرورة القضاء على الأمية بأن يشغل الجامعيون وتلاميذ المرحلة

الثانوية وقت فراغهم بتعليم إخوانهم الأميين القراءة والكتابة، واستجاب الشعب لزعيمه، واستطاعت كوريا فى خلال ثلاث سنوات أن تقضى على الأمية وتقتل الداء الذى كان ينخر فى جسمها، واحتفلت بذلك فى عام ١٩٤٩.

والشعب الكورى محب لوطنه ووطنيته، فتجد المواطنين يتعاملون مع بعضهم بحب كامل، وإيثار متناهٍ، وهو أيضا محب للضيوف، ويرحب بهم بالسلام باليدين وليس بيد واحدة وبابتسامة عريضة، ورغبة فى تقديم كل المساعدات الممكنة، وهو شعب جاد فى عمله وفى بناء بلده، ولكنه شعب فنان أيضًا، يحب الفن، ويهوى الرقص، والرقص هنا معظمه جماعى، وهناك رقصات تتخذ من الأفكار السياسية والوطنية عنواناً لها، فهذه رقصة «زوتشية» وتلك رقصة «تشوليما»، والرقص يعتمد على الإيقاع، وفى الاحتفالات بمرور ٣٥ عامًا على إنشاء حزب العمل الكورى، وانعقاد المؤتمر السادس له، أقيمت ليالٍ راقصة سعيدة، وأقبلت الفتيات الكوريات على الضيوف من كل الجنسيات ليشاركوهن فى الرقص وكانت مفاجأة لى حين مدّت احداهن يدها لأصحبها إلى المكان الواسع فى أحد الميادين والمعد للرقص، قلت.. أنا لا أعرف الرقص الكورى.. لكنها لم تفهمنى لا بالعربى ولا بالإنجليزى فنزلت إلى الحلبة، وأمرى إلى الله، وبدأت تشرح لى بالحركات ما تفعله وسرعان ما أخذت أرقص معها ومع المئات الذين

اجتمعوا فى تلك الليلة الجميلة. إنها حركات إيقاعية سهلة، واشتبكت أيدينا جميعًا من كل القارات آسيا وأوروبا وأفريقيا وأمريكا نرقص معًا الرقصات الكورية الجميلة، ما أحلى الإنسان عندما يشعر بإنسانيته، وبأنه لا فرق بين إنسان وإنسان، بل كلنا ننشد الحياة السعيدة الخيرة، وكانت ليلة لا تنسى.

والكوريون جادون فى حياتهم، وليس معنى هذا أنهم لا يتمتعون بها، بل هم مقبلون على الحياة أيضًا، ولكن بشىء من التقشف أو بعيدًا عن الطمع، فقد علمهم نظامهم أن غاية السعادة خدمة الوطن والناس، ولا مانع فى وقت الفراغ من الذهاب إلى السينما أو المسرح، أو إلى أحد نهرى «بوتنجانج» أو «دا دونج» لممارسة صيد السمك، أو الذهاب إلى الملاهى أو النوادى المختلفة لممارسة الرياضة وألعاب التسلية، ليست الحياة كلها جدًّا، ولكن الطابع الغالب عليهم هو الجد.

والجدية ليست تمارس فى الأعمال الكبيرة أو الضخمة وحسب بل فى كل الأعمال، حتى أبسطها لأن الجدية هنا أسلوب عمل وحياة يتعلمها ويتعود عليها المواطنون منذ الصغر، رجل النظافة يهتم بأن تكون منطقته نظيفة فعلًا، لا تجد فيها ولا ورقة شجر.

ذهبت إلى حلاق كورى لأهذب شعرى، فبدأ الرجل يعمل كالفنان الذى يرسم لوحة رائعة، أدواته نظيفة جدًّا، ومظهره أنيق، وشعره بالطبع مرتب رائع الجمال، وهذه طبيعة الكوريين، ومعظم

الناس فى آسيا يتمتعون بشعر ناعم لامع، أخذ الرجل ينظم ويهذب شعرى، ويضيف إليه بعض الزيوت والمعاجين والروائح، ثم أجرى بيديه تدليكا (ميساجاً) لرأسى ورقبتى، وكأنه يلعب الأكروبات، وكانت يده عنيفة، وخرجت من عنده بعد ذلك أشعر أننى أحمل رأسًا جديدة، ليست رأسى التى دخلت بها عنده.

ومعظم العاملين فى محال الحلاقة من النساء الكوريات، وهن غاية فى النظافة، ولا حرج عليهن فى أن يقصصن شعرك أو يحلقن ذقنك، وإذا رغبت فى حلاقة ذقنك فستشعر أنك تجرى عملية جراحية وليست مجرد حلاقة، فالفتاة ترتدى الملابس البيضاء، وتضع على فمها وأنفها واقيًا من الشاش حتى تحافظ عليك، وتتعامل معك بمنتهى الرقة وتتفنن من أجل راحتك، إن الحلاقة فى كوريا متعة حقيقية.

ولأن الكل يعملون فى أى مجال فالعمل ليس عيبًا بالطبع مهما كان بسيطًا فإنك لا تجد من يتسكع فى الشارع الكورى، أو من يمد يده إليك مردداً.. العبارة إياها «..أعطنى مما أعطاك الله..» أو من يتابعك ويترقبك حتى يسرق ما فى جيبك، أو يلطش مرتبك فتدعو عليه طوال الشهر، وطبيعى أن توجد الجريمة فى كافة المجتمعات، ولكنها تختلف فى نسبة الخطورة والانتشار. والقانون فى كوريا هو القانون، وقد تعلم الشعب كيف يعمل ويزيد الإنتاج؟ ومن هنا لا وقت للجريمة أو الخلاعة أو الكسل أو الاعتباط ولهذا

فالمجتمع الكورى نظيف من الشحاذين والمتسكعين.

وإذا رغبت فى زيـارة أى متحف من المتـاحف الكثـيرة التى تحفل بها «بيونج يانج» العـاصمة، فلن تخـرج منه إلا وأنت عـلى علم ومعرفة بكل دقائقه ومحتوياته وتاريخه، فمـوظفة المتحف لابـد وأن تحكى لك بالتفصيل كل شىء وربمـا تقف أمام صـورة واحدة أو خريطة ربع ساعة وأكثر وأنت تستمع إلى الشرح، ولقد تسرب الملل مـرة إلى نفسى، فحاولت أن أمشى أمـامها وأشجعهـا عـلى الانتقال إلى صورة أخرى ولكنها لم تفعل، وظلت واقفة فى مكـانها حتى قالت كل ما عندها إنها الجدية فى كل شىء.

وفى المصانع تتضح الجدية أكثر وأكثر، فالعاملة أو العامل يقفان أمام الآلة أو الجهاز بحب وهواية، مما يجعل الإنتاج وفـيرًا والعمل سهلاً، وقد أقـاموا الصنـاعة الثقيلة فى فـترة زمنية قصـيرة، زرت مصنع النزاكتور، ومدينة «هام هن» فى الشرق، وهى مدينة صناعية تقـع على بعـد حوالى ٢٥٠ كيلومتـراً من العاصمـة، وزرت فيهـا مصـانع الآلات، ولكنى تـوقفت طويـلاً عنـد مصنـع القـطن، إنهم يصنعون القطن من الأحجار، وقد شاهدت الحجـر الأصلى الـذى يستخرجون منه القطن، ووجـدت أننا نملك منـه كميات وفـيرة فى أسوان، وهم يضيفون إليـه حوالى تسـع مواد كيـماوية، ثم تخـرج الآلات لفـائف طويلة مثـل مصاصـة القصب، تـوضـع فى أجهـزة خاصة بعد ذلك ليصبح قطنًا ناعمًا جدًّا يرسل بعـدها إلى مصـانع

الملابس لاستخدامه فى أكثر من هدف ووسيلة، والحجر الرئيسى يحتوى على كربونات الكاليسوم، والاسم الكيمائى هو $C.A.CO_3$. وقد كانت الفكرة أساسًا تعتمد على البحث عن بديل للقطن الزراعى، حيث أن المحصول الكورى غير وفير، ومن ثم كان هذا الاكتشاف، وهو كورى بحت، وقد سألت المسئول فى المصنع عن تكاليف استخراج هذا القطن؟ فقال بالنسبة لنا لا يكلفنا شيئاً، فالحجر متوفر لدينا وكذلك المواد الكيماوية المساعدة الأخرى.

هل تحتفظون بهذا الاكتشاف كسر خاص بكم؟

إننا نعطى الفكرة بتفاصيلها للشعوب الصديقة، وإذا أردتم الاستفادة بها فى بلادكم فليس لدينا مانع، فالشعب المصرى صديق للشعب الكورى، وهناك بعض بعثات من دول صديقة تدرس هذه الصناعة فى كوريا الآن.

إننا لو استطعنا فى مصر إقامة هذه الصناعة فإنها ستكون كسبًا كبيرًا لاقتصادنا، فلن نخاف انخفاض محصول القطن كل عام والذى يعتمد على مقاومة الدودة ويكلفنا الكثير، ثم لماذا لو نجحت هذه الفكرة لا نتجه إلى زراعة الأرض بمحصول آخر نفتقر إليه؟ وبذلك نستفيد مرتين. المهم أتمنى أن يكون الحجر الأصلى هو الموجود فعلاً فى مصر بوفرة، وقد أحضرت معى قطعة

منه وبعض لفائف القطن المصنوع حتى يستطيع المسئولون الاطلاع عليها، إن كوريا تنفذ هذه الفكرة بنجاح منذ عشرين سنة، وإذا أمكننا تنفيذها فى مصر فستكون ثورة تنشط اقتصادنا وتدفعه إلى الأمام.

ونعود إلى انضباط المجتمع الكورى لنحاول التعرف على أسبابه والمسألة ليست صعبة، وإن مجرد القيام بزيارة إلى إحدى دور الحضانة المتعددة فى كل مكان تكفى لمعرفة هذه الأسباب، إن الطفولة بلاشك هى أساس كل شىء والطفل تمامًا كالعجينة تستطيع أن تشكلها كما تشاء، فإذا وجدت المربى الفاضل والمعلم المنضبط، فثق أن الانضباط قادم بإذن الله، فى دور الحضانة يتعلم الأطفال الحياة، كيف يحب بعضهم بعضاً وكيف يحترمون الكبار، ويحبون العمل، ويسيرون فى الشارع، ويرقصون ويغنون ويلعبون، لقد رأيت طفلة فى الرابعة من عمرها تلعب على البيانو بإحساس متدفق، وأشفقت على أصابعها الرقيقة التى لم تنم بعد، كما بهرتنى طفلة أخرى فى نفس السن بحركاتها الأكروباتية وجسمها اللين، وهما مجرد طفلين فى دور حضانة وليسا فى معهد متخصص فى الموسيقى أو الرياضة، وغير دور الحضانة هناك قصور الأطفال فى كل المحافظات، والتى تهتم بتربية النشء، إنهم يعلمونهم حب الرئيس الزعيم الكورى كيم إيل سونج، لذلك لا تعجب إذا شاهدت الاستقبال الحافل له من قبل الشباب والأطفال، إنهم

يقفزون فرحًا وترحيبًا به.

وبجانب دور الحضانة وقصور الأطفال هناك دور البيت، فالأم مدرسة بلاشك، وهى منضبطة أكثر من اللازم ككل مواطن كورى، وهكذا فإن الانضباط لا يأتى من فراغ.

وقد تسألنى عزيزى القارئ هل تريد أن تنقل كل ما أعجبت به، وشاهدته فى كوريا إلى مصر؟

الواقع أن الكاتب - أى كاتب - يتمنى أن تكون بلده من أرقى البلاد، ولذلك فهو عندما يزور مجتمعًا جديدًا، فإنه يعجب، بل وينبهر بكل ظاهرة صحية يراها ترقى بالإنسان وتحترم شخصيته وإنسانيته، وهو يريد ويتمنى أن يكتب عن هذه الظاهرة لعلها تصلح لمجتمعه، ولكن لكل مجتمع عاداته وتقاليده وتراثه الخاص، ونحن فى مصر نملك حضارة قديمة بعمق سبعة آلاف سنة، ولنا قيمنا الروحية، وعاداتنا الكريمة الخيرة، إننى أتمنى أن أرى الانضباط فى كل شارع وحارة فى مصر، انضباطاً ينبع من داخلنا من احترامنا لإنسانيتنا وليس انضباطًا مستوردًا، فمصر أم الحضارة.

أسطورة كيم ايل سونج

قبل أن أسافر إلى كوريا الديمقراطية، سمعت وقرأت كثيراً عن الرئيس كيم ايل سونج، ورأيت صوره العديدة المختلفة المنشورة فى الصحف والمجلات والكتب، وكنت أعتبر حديث أعضاء سفارته المتكرر عنه، حديثاً زائداً عن الحد، مبالغاً فيه، ثم زرت كوريا، وإذا الحديث أطول عن الزعيم وإذا الصور والتماثيل فى كل مكان، والناس لا هم لها إلا الحديث عن أعمال الزعيم العظيم المحبوب لدى الشعب الكورى «كيم ايل سونج».

السيد كيم جونج ايل ابن كيم ايل سونج زعيم كوريا الديمقراطية وهو الرئيس القادم بعد أبيه

وإذا سألت أى إنسان كورى سؤالاً معيناً فى أى موضوع، فإن إجابته لا بد أن تشمل اسم الزعيم وجهوده من أجل بلاده، فمثلاً عرفت أن متوسط عمر الإنسان الكورى ارتفع إلى ٧٤ عاماً، كما تقول الإحصائيات الرسمية. وسألت أحد المسئولين عن سبب ذلك؟

فأجاب: إن سبب ذلك هو الزعيم كيم إيل سونج.

قلت مبتسماً... كيف؟

قال... إن الزعيم يصل ليله بنهاره من أجل راحة شعبه وتوفير عناصر الحياة الكريمة اللائقة بالإنسان كالغذاء والكساء والدواء والمسكن، وهذا بلا شك أهم أسباب إطالة العمر.

وأفكار الكوريين كلها منبثقة من أفكار الزعيم، فقد ألف كيم ايل سونج عشرات الكتب فى مختلف الموضوعات السياسية والاقتصادية والزراعية والصناعية والفنية والثقافية والحربية وغيرها، ولذلك فهو لم يعط فرصة لأحد أن يفكر فكراً خاصًا، أو معارضاً بالطبع، فكيف يعارض أى مواطن، مهما كان، الزعيم وأفكاره؟ أو قل كيف يستطيع أن يسمو بأفكاره فوق أفكار الزعيم؟ إنه مستحيل فى رأيهم بالطبع.. بل ذلك يشكل جريمة شنعاء يستحق مرتكبها الإعدام فى الحال.

وكيم إيل سونج ليس مجرد رئيس جمهورية، أو زعيم شعب أو

حتى رسولا للحرية والوطنية، وإنما هو إله عند الكوريين، فهم يعبدونه بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وعبادة الملوك والحكام وتأليههم ليست فكرة جديدة على البشر، فقد عبد المصريون القدماء ملوكهم، وقدموا لهم الذبائح والقرابين والمحرقات، ومع مرور الزمن ونزول الرسالات السماوية تطلع البشر إلى الإله الحقيقى لهذا الكون، وهو الله الواحد الأحد، سبحانه وتعالى، ومع ذلك فهناك شعوب ما زالت تؤله الأشخاص وتعبدهم بل هناك شعوب ما زالت تعبد الحيوانات والطبيعة، والإنسان دائماً فى حاجة إلى الإيمان، فالإيمان جزء من تكوينه الروحى والنفسى، ولذلك يقول فولتير..

«إذا لم يكن الله موجوداً فينبغى أن نوجده» كما يقول نابليون..

«لو لم يكن البابا موجوداً لكنت اخترعته..»

أما المؤرخ اليونانى بلوتا رخوس فيقول...

«إن قيام مدينة بلا أرض تقوم عليها أسهل من قيام دولة دون إله تعتقد فيه»

هكذا الإنسان بحاجة دائماً إلى الإيمان بالله، وهو متدين بطبعه، والذين ينكرون الأديان السماوية خلقوا وابتدعوا بدلها أديانا أرضية، وأشخاصاً يعبدونهم بدلاً من الله، عز وجل، وقد سئل

الرئيس كيم ايل سونج عن ظاهرة حب الشعب له والإيمان الشديد به؟ فكانت إجابته ببساطة، إن الشعوب الأسيوية تميل إلى هذا النوع من التكريم والتكبير..

وطبيعى أن كيم إيل سونج يشعر بسعادة فائقة من حب الشعب الكورى له، والإيمان به، والتحلى بوضع صورته على صدر كل مواطن كورى داخل وخارج كوريا، والتغنى باسمه، والتسبيح بحمده، وشكره على ما قدمه لبلده، أقول طبيعى أنه سعيد بذلك، وإلا لما سمح لهم به، والإنسان الكورى الذى تتاح له فرصة مقابلة زعيمه، لا يصدق ذلك وعندما يقف أمامه، يبكى من الدهشة ويظل يرتعش ويقفز فى فرحة هستيرية.

وتبدأ علاقة المواطن الكورى بزعيمه منذ نعومة أظفاره فى دور الحضانة، وهو ما زال يحبو فى الثالثة من عمره تقريباً، فهناك حجرة خاصة باسم كيم ايل سونج فى كل دار حضانة، وفى هذه الحجرة توجد صور عديدة للزعيم فى أثناء طفولته، ومع والده البطل الذى حارب الاستعمار اليابانى، وجده الذى كان له تاريخ وطنى مجيد، وأمه التى سهرت وتعذبت الليالى من أجل ولدها البطل كيم ايل سونج، ويظل الأطفال فى هذه الحجرة حتى يحفظوا عن ظهر قلب اسم الزعيم ومشوار حياته، منذ ولد فى منطقة «منكيونجداى» فى الخامس عشر من شهر إبريل سنة ١٩١٢ ثم محاربته لليابان، والاستعمار الأمريكى المتمثل على

الحدود بين الكوريتين، وبناءه للاشتراكية ومجتمع الرخاء الذى يعيشون فيه، فهم يعتقدون أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، وأن مجتمعهم أفضل المجتمعات وأقواها وأرقاها، ويظل الطفل طوال حياته يسمع ويقرأ ويرى كثيرا عن كيم ايل سونج وأمجاده، فلا عجب أن يشب على حب واحترام الزعيم كما لو كان إلها حقيقيًا، وهذا ما لا حظته من خلال مشاهدتى لمقابلة كيم ايل سونج بالشعب، إنهم يقفزون ويتهللون فرحاً وترتسم على وجوههم علامات الدهشة وعدم التصديق، بل إنهم يحترمون صورته ويسجدون أمامها بخشوع دون أن يراهم أحد..

وأقول لنفسى.. لو أحب المؤمنون ربهم وأخلصوا له كما يفعل هؤلاء بالنسبة لزعيمهم، لوصلوا إلى قمة درجات التدين والتصوف والإيمان، واختفى الشر من عندهم.

فى إحدى الأمسيات اتفق معى مرافقى على زيارة مانكيونجداى، المكان الذى ولد فيه الزعيم كيم ايل سونج، والذى يبعد عن قلب «بيونج يانج» العاصمة بحوالى ٢٠ كم، فى صباح اليوم التالى فوافقته ولكن بعد أن ودعنى عاد إلى مبتسماً متسائلاً:

ماذا سوف ترتدى غدًا فى أثناء هذه الزيارة؟

قلت.. سوف أرتدى ملابس خفيفة بالطبع، غير رسمية لأن

الطقس جميل، الزيارة عادية وليست رسمية.

قال.. أرجو أن ترتدى بذلة كاملة، مع رباط العنق.

سألته فى دهشة... هل سنقابل فخامة الرئيس غدًا فى مانكيونجداى؟

أجاب... لا.

قلت.. لماذا أرتدى البذل الكاملة ورباط العنق إذن؟

قال: احترامًا للمكان الذى شهد ميلاد الزعيم العظيم.

ولم أستطع الاعتراض، فهذه هى تقاليدهم التى يجب على أن أحترمها حتى لو لم ترق لى.

وفى كل متاحف كوريا الديمقراطية ترى صورًا كبيرة وتماثيل عديدة للزعيم، وترى مثلاً القلم الذى وقع به على وثيقة معينة، والمكتب الذى جلس أمامه فى مناسبة خاصة، وكذلك المقعد، بل ترى الميكرفون الذى تحدث من خلاله، إنهم يحتفظون بكل هذا للتاريخ، وأعتقد أنه إذا جمعت هذه المكاتب والمقاعد والأقلام لفتحت ديوانًا كبيرًا أشبه بمجمع التحرير عندنا فى مصر.

ولأنهم يحبون كيم ايل سونج كالشمس والقمر والنجوم وكل الأشياء الحلوة الجميلة فى الكون، كما قالوا لى، فإنهم يحبون أيضًا ابنه «كيم جونج ايل» بنفس القدر الكبير ويعتبرونه الزعيم

القادم بلا أدنى شك، وبلا منافس واحد، والزعيم الجديد الشاب ولد فى ١٦ فبراير عام ١٩٤٢ وتلقى تعليمه فى جامعات أوربا والصين ثم فى جامعة كيم ايل سونج بالعاصمة بيونج يانج، وله اهتمامات سياسية بجانب اهتماماته الفنية، فهو يلعب ببراعة على آلة البيانو، ويقرض الشعر ويؤلف الأغنيات الشعبية والأناشيد الوطنية التى يرددها كل المواطنين كما أنه يلحن هذه الأناشيد بنفسه، وقد أشرف على تكوين فريق مسرح (منسوداى) بالعاصمة والذى يقدم الفنون الراقية من غناء ورقص.

وهكذا ينظر شعب كوريا الديمقراطية إلى الابن نفس نظرته إلى الأب، وهم يرددون الآن إننا نحكم بواسطة اثنين من الزعماء الأجلاء هما، كيم ايل سونج، وكيم جونج ايل، ولا شك أن الأول سعيد بهذا الموقف ومشجع له، فسوف تنتقل الزعامة إلى ابنه بالوراثة، كما هو الحال فى النظام الملكى والامبراطورى، مع أن النظام فى كوريا هو النظام الجمهورى حسب نص الدستور.

إن الرئيس كيم إيل سونج حقق لشعبه، كزعيم سياسى الكثير، كما يقولون، وحارب الاستعمار اليابانى، والأمريكى، وبنى الاشتراكية والصناعة الوطنية، ومن حقه عليهم أن يحبوه ويحترموه، لكن أن يصل هذا الحب إلى درجة العبادة الحقيقية، فهذه قضية إنسانية تشغلنى، بل تزعجنى.